بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما نافعا، اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين

باب الدعاء إلى شهادة أن لا اله إلا الله

وقول الله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

[الشرح]:-

نعم قال المصنف – رحمه الله – تعالى:- باب الدعاء إلى شهادة أن لا اله إلا الله

هذا أيضا – أيها الإخوان والأخوات –

◈ **من حسن ترتيب المصنف – رحمه الله –** :

فإن المصنف لما ذكر ممن بيان التوحيد، وتحقيقه، وبيان فضله والتنبيه على ما يضاد التوحيد من الشرك رأى – رحمه الله – أنه لا يتم تحقيق التوحيد ونيل فضله إلا بالدعوة إليه

فما من مؤمن يحوز هذا الفضل إلا ويجد في نفسه دافعية للدعوة إليه فجاءت هذه كأثر متعدي بعد الأثر اللازم **الأثر اللازم** هو أن يقوم في قلب الإنسان تحقيق التوحيد، الأثر المتعدي هو أن ينقله إلى غيره فلهذا عقد هذا الباب باب الدعاء.

الدعاء المقصود به الدعوة إلى شهادة أن لا اله إلا الله وقد مر بنا تعريف شهادة أن لا اله إلا الله وأن

معنى الشهادة: يعني الاعتراف الجازم المعبر عنه باللسان المنطوي عليه الجنان المصدق بعمل الأركان بأن لا معبود بحق إلا الله،

◈ **قال: وقول الله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)**

هذه آية عظيمة تتضمن المنهج الرشيد لكل مؤمن، وداعية، وطالب علم، ومرب إن هو تنبه لأركانها، الخطاب موجه للنبي ﷺ ولأمته من بعده قل أي يا محمد (هذه سبيلي)

إذا ما معنى سبيلي: أي طريقتي فبين أن الطريق واحد

لأن الحق واحد لا يتعدد بينما طرق الباطل كثيرة قال سبحانه (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

١) إذا العنصر الأول (**قل هذه سبيلي**) هو أن نعلم أن الحق واحد لا يتعدد وأنه ليس الأمر كما يزعم بعض المموهين أن جميع الطرق تؤدي إلى الله كما يذكر زنادقة الصوفية ودعاة توحيد الأديان وغيرهم يقول قائلهم جميع الطرق تؤدي الله كل شيء تسلكه يوصلك إلى الله هذا باطل ليس ثم إلا الإسلام (إن الدين عند الله الإسلام) (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدا من هذه الأمة يهوديا ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" . [رواه مسلم]إذا السبيل واحد

٢) طيب الثانية (**أدعوا إلى الله**) هذا العنصر الثاني وهو الإخلاص لأنه قال (أدعوا إلى الله) إذا من شأن المؤمن أن يدعو إلى الله لا إلى نفسه، ولا إلى جماعته، ولا إلى حزبه ولا إلى أي شيء آخر ففيها التنبيه على الإخلاص (أدعوا إلى الله)

٣) العنصر الثالث (**على بصيرة**) أي أن مبنى هذه الدعوة على البصيرة وما هي البصيرة؟ البصيرة هي العلم والبينة، بم؟ بالشرع وبالواقع فمن شأن الداعية أن يكون عالما بمراد الله سبحانه لا يحصل إلا بتحقيق العلم الشرعي ولا يحصل تطبيقه إلا بمعرفة الواقع

٤) ثم قال (**أنا ومن اتبعني**) وهذا يدل على عنصر آخر وهو التعاون على البر والتقوى فإنه قد نبه بهذا على معنى الاجتماع ومنع الاختلاف (أنا ومن اتبعني)،

٥) ثم قال (**وسبحان الله**) فدل ذلك على من مقاصد الدعوة تنزيه رب العالمين في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرطه فيجب أن تستبق هذه الدعوة بالتنزيل وختاما

٦) (**وما أنا من المشركين**) فهذا عنصر أيضا مهم وهو البراءة من الشرك وأهله

قال شيخ الإسلام المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه [كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد] قال:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله

وقوله الله تعالى: (قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، لما بعث معاذ إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: (أين علي بن أبي طالب؟) فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: (أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم). يدوكون: يخوضون.

[الشرح] :-

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد تقدم معنا الحديث على هذه الآية العظيمة وهي:

◈ **قول الله تعالى: { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}**

◈ **و مناسبة هذه الآية لهذا الباب ظاهرة**

فإن قوله "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله" دليل على الإخلاص فإن قوله أدعو إلى الله يعني أدعو إلى عبادة الله وهذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله فهذه هي مناسبة الآية للباب

◈ **و نستفيد من هذه الآية العظيمة :-**

- أولا: أن الحق واحد لا يتعدد لأنه وحد السبيل

- ويتفرع عنها الفائدة الثانية الرد على من صوب جميع الطرق، والأديان، والملل، وزعم أنها توصل إلى الله وهؤلاء هم زنادقة الصوفية فإنهم يزعمون أن كل طريق يوصل إلى الله حتى قال كبيرهم وزعيمهم بن عربي الطائي الأندلسي قال:

((لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير رهبان
وبيتٌ لأوثـانٍ وكعـبةُ طائـفٍ .. وألـواحُ تـوراةٍ ومصـحفُ قـرآن
أدين بدين الحب أين توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني))

وقال في موضع أخر:

((عقد الخلائق في الإله عقائد وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوا))

-عياذا بالله- فهؤلاء زنادقة يصوبون كل طريق ويزعمون أن كل مشرك وعابد وثن أنه على حق فهذا من أكثر الكفر وهو نتيجة لقولهم بوحدة الوجود وهي عقيدة كفرية

- وكذلك - وهذه دون الأولى - الرد على من قال لا إنكار في مسائل الخلاف والصحيح إنه لا إنكار في الاجتهاد ففرق أن نقول لا خلاف في مسائل الاختلاف وأن نقول لا إنكار في مسائل الاجتهاد ما الفرق؟ من قال لا إنكار في مسائل الخلاف كأنما يقول لا يعلم أحد أحدا ولا يرجح أحد قولا وليلزم كل طريقة شيخه وليتعصب لمذهبه، ولا يتحرى الحق لأن الخلاف مستقر، ومن قال لا إنكار في مسائل الاجتهاد فمقتضى كلامه أن من اجتهد واستفرغ وسعه، وتوصل إلى أمر ما فإن ذلك يسعه ولا ينكر عليه لأنه بذل ما في وسعه حتى لو خالفك في الرأي كل هذا متفرع عن الفائدة الأولى وهي أن الحق واحد لا يتعدد

- طيب نستفيد أيضا وجوب الإخلاص **أدعو إلى الله**، وأنه يجب على الداعية إلى الله أن يتعاهد قلبه وأن يفرغه من حظوظ الدنيا ونزعاتها وما أحوج طلبة العلم إلى هذا الأمر فإن طالب العلم إذا مكن الله تعالى له ووضع له قبولا فإنه يحصل له حظوة، وتصدر، وإكرام فعليه أن يعلم أن هذا محض فضل الله عليه وأن لا يستطيل بهذا التقدم على عباد الله، وألا يستقضي به الحاجات فيستغل منزلته لمصالحه بل يجعل عمله خالصا لله سبحانه وتعالى لا يطلب فيه دنيا، وينبغي لطالب العلم أن يحفظ شيئا من أبيات على بن عبد العزيز الجرجاني التي يقول في أخرها ((ولو أن

أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظمهم ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهم)) فيعود نفسه على العزة بالله وألا يستقضي الحوائج ويستغل ما أنعم الله به عليه من علم ودين في غير موضعه

- نستفيد أيضا أنه لابد في الدعوة إلى الله من العلم فلا يتصدى للدعوة إلى الله جاهل لأن الجاهل إذا دعا أفسد أكثر مما أصلح فلابد أن يتسلح الداعية بالعلم حتى يقول حقا وينوي خيرا، ومن الناس من يشتغل بالدعوة إلى الله بلا علم فهذا غلط لأنه إذا دعا فإلام يدعو! سيسأله الناس إذا رأوه قد تصدى للدعوة سيتخذونه إماما وقدوة فإن لم يكن عنده زاد وبضاعة فإنه سيفتيهم من محض رأيه، وقد قال النبي ﷺ: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال وإنما يقبضه بقبض العلماء فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس أئمة جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا "

لكن ليس من لازم ما نقرره الآن أن يسكت طالب العلم المتبع عن بيان الحق الذي يعلمه لا من علم مسألة فهو بها عالم فليعلم ما علم لكن لا يضع نفسه في غير موضعه، وقد كان الأئمة عليهم رحمة الله يتقاصرون عن ما لا يعلمون حتى إن رجل أتى إلى الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة من مكان بعيد وسأله أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين منها لا أدري وأجاب عن أربع، فقال الرجل: يا أبا عبد الله كيف أرجع إلى قومي قال ارجع إليهم وقل لهم إني سألت مالك في أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين لا أدري هكذا ينبغي، ينبغي لطالب العلم أن يتحرى وأن يتوقى أن يقول على الله بغير علم لأنهم موقع عن رب العالمين عصمنا الله وإياكم من الزلل،

- أيضا ينبغي أن يكون الداعية عالما بالحال لأنه قال **"على بصيرة"** والبصيرة هي معرفة يميز بها بين الأمور فينبغي أن يعرف الحال حال المخاطبين حال المدعوين حال الناس تقلبات الأحوال لكي يعينه ذلك على تنزيل الدليل الشرعي على الواقع، لكي يعينه ذلك على أن يكيف المسألة تكييفا صحيحا فيستدل استدلالا صحيحا وهذا يحصل بإذن الله تعالى بالدربة - طيب يستفاد من ذلك وجوب التعاون بين الدعاة؛ لأنه قال أنا ومن اتبعني فينبغي لأهل الطريق الواحد لأهل المنهج الواحد أن يتعاونوا على البر والتقوى،

وليس من لازم ذلك أن لا يحصل بينهم اختلاف في الاجتهاد لم يزل الناس يختلفون في الفرعيات حتى أصحاب نبينا ﷺ ربما اختلفوا في بعض الفروع في الفرائض وغيرها ولكن هذا الخلاف كما قيل لا يفسد للود قضية ما دمت أعلم أن صاحبي مجتهد وأنه استفرغ وسعه وأني كذلك فإني في الحقيقة متفقان وإن لم نصل إلى نتيجة واحدة لأننا اتفقنا على أننا نرجع إلى الكتاب والسنة لكن فينا من يهدى إليه وفينا من قد يضل عنه فينبغي للدعاة إلى الله أن يتعاونوا وألا يمنعهم خلاف هامشي يسير من أن يكونوا جبهة واحدة لأن الخلاف شر وقد أمر الله عباده بالتعاون

على البر والتقوى { وتعاونوا على البر والتقوى }، وقال { واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا }، وقال نبيه ﷺ " وكونوا عباد الله إخوانا"

فينبغي لطلبة العلم أن يرسخوا هذا في قلوبهم وأن يعلموا أن من مقاصد الشريعة الألفة والتعاون والتواد والتحابب وأن لا يستذلهم الشيطان تحت أي مسمى وتحت أي دعوة إلى التشاجر والتنازع والاختلاف والفرقة وأن يميزوا بين ما يقع حوله مفاصلة من المسائل الكبرى وأمهات الأمور وبين المسائل التي تحتمل الاجتهاد فهذا أمر ينبغي أن يتنبه به طلبة العلم

- أيضا من الفوائد المستنبطة وجوب تنزيه الله سبحانه وتعالى؛ قوله وسبحان الله وقد كان نبينا ينزه ربه أعظم التنزيه فلما جاءه جماعة من الأعراب فقالوا إنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك تغير وجه النبي ﷺ وقال تدرون ما تقولون إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه عظم ربه شأن الله أعظم

فينبغي - أيها الإخوان - أن يعظم العبد ربه في ذاته فيعتقد أن له ذات لا تشبه الذوات سبحانه وبحمده وأن كل ما خطر ببالك فالله ليس كذلك، أن يعظمه في أسمائه فيعتقد أن له الأسماء الحسنى التي بلغت الغاية في حسنها ولله الأسماء الحسنى في صفاته فتعتقد أن صفاته صفات كمال لا يتطرق إليها النقص بأي وجه من الوجوه فكل لازم يلزم على صفات الآدميين فيه نقص أو عيب أو مماثلة للآدمي فالله مبرأ منزه منه سبحانه وبحمده، في شرعه فيعتقد أن شرع الله منزه، عن الظلم وعن القصور وعن الخفاء لأن من الناس من يظن أن الله شرع شرائع لتصلح قبل أربع عشر قرنا ولم تعد صالحة الآن { أأنتم أعلم أم الله } أما يعلم من خلق { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون }

فمن تنزيه الرب تنزيه شرعه فلا يظن أن في شرعه نقص بوجه من الوجوه ولما أنشد بعض الزنادقة وقال منتقدا قطع اليد في السرقة قال

يد بخمس مئين عسجد ودية ما بالها قطعت في ربع دينار

يريد بذلك التلبيس يقول هذه اليد التي فيها نصف الدية لأن ما كان للإنسان منه يعني ما كان شيئا ففيه نصف الدية فديتها خمسمائة دينار نصف دية ما بالها تقطع في ربع دينار أليس هذا تناقض؟ قال تناقض ما لنا إلا السكوت له فعد ذلك تناقضا فأجابه بعض الموفقين قال **عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري** لأنه قال ما بالها قطعت في ربع دينار، فبعض الناس -و العياذ بالله- يقدح في شرع الله ويقول لما الحدود سيتحول نصف المجتمع إلى مقطوعي الأيدي لما القتل هذا أشياء هذه وحشية هذا ليس من تنزيه الرب سبحانه، كذلك تنزيه في

قدره بأن يعتقد الإنسان بأن الله لا يقضي قضاء إلا لحكمة ولا يقضي على عبد مؤمن قضاء إلا كان خيرا له فليس في هذه الدنيا خط عشواء ولا ضربة لازم بل كل شيء عنده بمقدار فينزه الله تعالى في جميع هذه الأمور هذا من معاني وسبحان الله

- ثم الفائدة الأخيرة وما أنا من المشركين يستفاد منها البراءة من المشركين والنفرة منهم النفرة من المشركين؛ لأن الإنسان إذا علم أن هذا الآدمي يسوي الله بغيره كيف يحبه؟ وكيف يطمئن إليه، وكيف يواده لا يمكن لا تجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، وإننا لنأسف أشد الأسف أن نجد من بني جلدتنا من يسمي مسألة الولاء والبراء أنها نشر لثقافة الكراهية -سبحان الله!- إذا كانت هذه الكراهة كراهة أمر الله بها شرعا بأن نحب في الله ونبغض في الله فحي هلا فكيف يوصف ما هو من مقاصد الاعتقاد وأصول الدين بما يقدح فيه يجب أن نعظم ما عظم الله، وأن نقدم ما قدم الله، وأن نؤخر ما أخر الله، وأن نهون ما هون الله، ونسمع كثيرا التعبير بالآخر والآخر لا بأس من الآخر؟ الآخر حقه علينا ليس أن نربت على كتفه ونقول أنت على حق ونحن على حق وأنت على صواب ونحن على صواب ولا يخطئ أحد أحدا لا حق الأخر علينا يهودي أو نصرانيا أو مجوسي أن نبين له الحق الذي هدانا الله إليه وندعوه إليه لا أن نغض الطرف ونغمض على آذاه وندعه في غيه إن كنا نريد أن ننصح له أن ندله على الخير فهو أن ندعوه إلى دين الله

طيب ثم إن المصنف رحمه الله قال:

◈ **" عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، لما بعث معاذ"**

أما معاذ: فهو معاذ بن جبل صاحب رسول الله ﷺ وقد تقدم ذكر طرف من ترجمته وكان من فقهاء الصحابة وشبانهم واتقياهم، وكان النبي ﷺ يحبه ويعده للأمور الدعوية العلمية فقد استخلفه على مكة وبعثه إلى اليمن واليمن إقليم معروف في جنوب جزيرة العرب

متى كان هذا البعث؟ الصحيح في السنة العاشرة من الهجرة ولهذا لم يشهد معاذ وفاة رسول الله ﷺ بل قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ قال له: بين يدي هذه السفارة وقد بعثه قاضيا ومعلما ومفقها وجابيا قال له:

(إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب: ينبغي أن ينبه الداعية لحال المدعوين حتى يكون على بينة فالنبي ﷺ لفت انتباهه إلى أنه سيأتي قوما من أهل الكتاب وذلك أنه من اليمن قد تعاقب عليه من الممالك ما أدخل فيه يعني ما كان من

الأديان السابقة ففيه يهود وفيه نصارى فكان ذلك بحكم الأعم الأغلب فأهل اليمن كانوا من أهل الكتاب وكان فيهم مشركون لكن الأعم والأغلب أن فيهم يهود وفيهم نصارى

المقصود بأهل الكتاب: هاتين الطائفتان اليهود والنصارى،

قال "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله": ـ

ويجوز فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وذلك أن كان كما تعلمون في النحو ترفع اسمها وتنصب خبرها فإن قلنا إن أول هو اسمها فيكون فليكن أولُ ويكون جاء التثييب على نسقه وشهادة خبر فجاءت منصوبة لكن يجوز الوجه الأخر فليكن أول على أنه خبر مقدم وشهادة مبتدأ مؤخر قال فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله بدأ بالأهم

◈ **و هذا هو مناسبة هذا الحديث للباب؛**

لأنه تضمن الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله في رواية: أيضا هذه الرواية عند البخاري والحديث الذي ساقه المؤلف قد رواه البخاري ومسلم فعند البخاري في رواية إلى أن يوحدوا الله وهذا يدل على أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله هو توحيد الله،

قال "فإن هم أطاعوك لذلك" يعني أطاعوك لذلك يعني شهدوا وانقادوا لدعوتك ووحدوا الله سبحانه وتعالى وعبدوه وكفروا بما سواه هذا أول محطة هو توحيد الله – عز وجل –، "فإن هم أطاعوك لذلك

فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة"، بدأ بأهم العبادات العملية وهي الصلوات الخمس فإنها عامود الدين وجعلها تالية للشهادتين كما رتبها النبي ﷺ في أركان الإسلام بني الإسلام على خمس،

ومعنى افترض عليهم: يعني أوجب عليهم وهذه الصلوات الخمس هي المعلومة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، قال:

"فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم" ابتدأ بأهم العبادات المالية الزكاة وهكذا رتبها النبي ﷺ في حديث مباني الإسلام فهذه الصدقة افترضها الله عليهم

والمقصود بالصدقة هنا: الزكاة، فان الزكاة تسمى في كتاب الله صدقة أين ذلك { إنما الصدقات للفقراء والمساكين }،{ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}

ولكن إذا قرنت الصدقة بالزكاة صارت الزكاة منصبة على الفرض الواجب والصدقة على التبرع ولكن قد يعبر بالصدقة عن الزكاة، قال:

"و قوله تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم": استدل به العلماء على عدم جواز إخراج الزكاة من البلد لأنه قال تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم وأن مصرف الزكاة يجب أن يكون في نفس البلد

وهذا هو الأصل لكن ربما طرأ على هذا الأصل ما يجعل الزكاة تنقل كأن يجف بالناس جافة يعني يقع مجاعة مثلا فيخرج الناس زكاتهم لطروء ما يجعل المفضول فاضلا

ولا شك أن الذمة تبرأ لو بذلها هنا أو هناك لكن الأصل أنها تخرج في البلد وذلك لأن نفوس فقراء البلد تتعلق بما في أيدي أغنيائهم فلا يناسب أن تخرج من بين أيديهم ومع ذلك يجوز في بعض الأحيان كما كان النبي ﷺ يبعث المصدقين إلى القبائل وأحياء العرب فيأتون بصدقات أقوامهم،

"فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم": يعني إن هم أقروا بما تقدم لا سيما آخرها وهو الزكاة فإياك **و كلمة إياك** كلمة تحذيرية يعني تجنب كرائم أموالهم نفائسها والذي يقبضه المصدق من الزكوات زكاة بهيمة الأنعام، وزكاة الزروع والثمار يعني الخارج من الأرض، أما الأموال الخفية فإنه لا يقبضها المصدق، وإنما يقبض الأموال الظاهرة ولهذا قال:

"إياك وكرائم أموالهم": قد يكون عند الإنسان إبل فليس للمصدق أن يختار كرائم الإبل ويدع رديئها لصاحب المال بل يأخذ من الوسط كذا البقر وكذا الغنم، وكذلك بالنسبة إلى الخارج من الأرض يأخذ من الوسط فقال "إياك وكرائم أموالهم" ثم نبه على أمر دقيق بوصفه حاكم وقاضيا وجابيا يعني بمعنى أن له سلطة نبهه على العدل وتجنب الظلم، فقال:

"واتق دعوة المظلوم": لأنه ربما وقع منه بحكم سلطته شيء من التجاوز، "واتق دعوة المظلوم

فإنه ليس بينها وبين الله حجاب": -الله أكبر- دعوة المظلوم - أيها الأخوة - تخرج من نفس حرى فترتفع في سجف الغمام حتى يقول الله لأنصرنك ولو بعد حين

ولهذا ينبغي للإنسان أن يحذر من الظلم بجميع صوره فإن الظلم مرتعه وخيم وعاقبته بئيسة فاحذر يا عبد الله من ظلم غيرك لاشك احذر من ظلم نفسك ولكن ظلم الغير أشد

لأن حقوق العباد مبنية على المشاحة وحق الله مبني على المسامحة فلو ظلمت نفسك فبإمكانك أن ترفع يديك وتدعو الله وتقول رب اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فإذا كنت مخلصا فما أوسع كرمه يغفر الذنوب جميعا – سبحانه وبحمده–، لكن ظلم العباد إذا نلت من عرض أخيك المسلم ووقعت فيه واغتبته إذا أخذت ماله إذا ضربت جلده قد لا تلقاه إلا في عرصات القيامة وهل تظن أنه في ذلك الموقف سيقول أنت في حل لا والله { يوم يفر المرء من أخيه }، { وأمه وأبيه } إلى أن قال{ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه }

فالواجب على المؤمن أن يبرأ من الظلم قليله وكثيره، وأن يراجع حساباته هل صدر منه ظلم هل وقع في عرض أحد هل نال من حق أحد يتحرى قبل أن لا يكون درهم ولا دينار فما استطعت فتحلل أخرج من هذه الدنيا خفيف الظهر قبل أن لا يكون هناك مستعتب فلهذا ختم النبي ﷺ هذه الوصية بهذه الجملة

◇ ومناسبة هذا الحديث العظيم الذي هو في الحقيقة من أصول الإيمان ومن أصول الدعوة ظاهر:

لقوله " و ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله" وبهذا يتبين – أيها الإخوان – أن أعظم ما ينبغي أن يعنى به كطلبة علم ودعاة هو توحيد الله – عز وجل – هو أعظم المهمات،

ولا يقولن قائل قد تجاوزنا هذا الأمر وفرغنا منه فنحن نشتغل بالتفاصيل هذا أمر لا يفرغ منه ما دام على وجه الأرض كافر فالمسلمون مطالبون بالدعوة إلى توحيد الله حينما ندعوا الناس إلى دين الإسلام يجب أن نبدأ بالدعوة بالتوحيد لا نشتغل بالأمور الجانبية لا نشتغل بدعوة الناس إلى دين الإسلام بأن نقول تعالوا انظروا إلى النظام القضائي في الإسلام، تعالوا وانظروا إلى الإعجاز العلمي في القرآن، تعالوا انظروا إلى كذا وكذا ونشتغل بالفرعيات يجب أن تكون العمدة في الدعوة إلى الله – عز وجل – الدعوة إلى توحيده أولا لأن لها ما بعدها

فالقلب إذا عرف وجهته وقبلته ووحد الله فما بعده يأتي تباعا وكفى أن هذه طريقة القرآن وكفى أن هذه طريقة النبي ﷺ، كان النبي ﷺ يكتب لملوك الأرض من محمد بن عبد الله رسول الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أسلم تسلم هكذا ينبغي، ولقد سمعت مرة من بعض المتحدثين من يقول انتهى زمن أسلم تسلم –سبحان الله!– يجب أن نخاطب الغرب بلغته يجب أن نخاطب الغرب بلغة العلم ما هذا سبحان الله أندع طريقة النبي ﷺ وطريقة القرآن لطرائق محدثة

إن أحوج ما يحتاج إليه الشرق والغرب وكل شيء هو توحيد رب العالمين أن يعرفوا لماذا خلقوا قبل أن نشتغل

ببيان محاسن الشريعة ومقاصدها يجب أولا أن نضبط الأساس والقاعدة فيعرف العبد لما خلق لعبادة الله لتوحيد الله – عز وجل – فإذا أرسينا ذلك فكل ما بعده سهل وهين فهذا هو مناسبة إيراد هذا الحديث في هذا الباب

◈ **وفي الحديث فوائد عديدة منها:-**

– أولا: مشروعية بعث الدعاة؛ نعم هذا من واجب أئمة المسلمين ولاة الأمر أن يبعثوا الدعاة إلى كل مكان يعرفوهم بدين الإسلام كما كان النبي ﷺ يصنع فينبغي لولاة الأمر من المسلمين أن يرسلوا الدعاة إلى مشارق الأرض ومغاربها ليدعوهم إلى دين الله

– الفائدة الثانية: أن شهادة أن لا إله إلا الله أول الواجبات؛ أول الواجبات شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله

– ونفرع على هذه الفائدة فائدة ثالثة: وهي الرد على المتكلمين الذين زعموا أن أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشكل مقالة للمتكلمين يقولون أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشكل ويقال لهم كلا أول واجب على المكلفين هو شهادة أن لا إله إلا الله فهذا هو أعظم ما أشتغل به

– أيضا نستفيد من الرواية الثانية للبخاري أن يوحدوا الله تفسير شهادة أن لا إله إلا الله وأنها تعني توحيد الله، وترك عبادة ما سواه

– نستفيد أيضا من قوله (**شهادة**) أنه لا يقبل من كافر دعوى إسلام إلا بالتلفظ بالشهادة لابد من النطق بالشهادتين فلو دعونا كافرا وقال خلاص أنا أسلمت نقول لا يكفي قل بلسانك حتى يسمعك من حولك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله إذا لابد من التلفظ والنطق بالشهادتين طيب

– أيضا نستفيد من قوله (**فإن هم أطاعوك لذلك**) التدرج في الدعوة والبداءة بالأهم فالمهم أليس كذلك فإن هم كذا وكذا إذا لابد من التدرج في الدعوة والبداء بالأهم ثم المهم

– ونستفيد من ذلك أيضا أنه ربما كان الإنسان عالما قارئا ولم يعرف توحيد الله أليس كذلك؟ ربما كان الإنسان عالما قارئا مثقفا وهو لا يعرف توحيد الله الذي هو أعظم العلوم أتدرون من أين استنبطت من قوله (**إنك تأتي قوما أهل كتاب**) فهؤلاء قوما عندهم كتاب وإن كان قد دخله التحريف ومع ذلك لم ينفعهم كتابهم فلا عجب أن نجد في هذه الأمة من قد يكون فقيها أصوليا وهو لم يضبط التوحيد فهذه فائدة مهمة

- كذلك نستفيد من هذا الحديث ما يسمى في علم التربية الحديث مراعاة الفروق الفردية بمعنى مراعاة المخاطب من أين نستنبط ذلك؟ من قول النبي ﷺ إنك تأتي قوم من أهل الكتاب فلما كان هؤلاء أهل كتاب صار الخطاب الموجه لهم يختلف عن الخطاب الموجه للمشركين لأن لأهل الكتاب حجج، وشبهات، وإيرادات قد لا تبدو للأميين الذين لا يعلمون ولهذا الله سبحانه وتعالى يسمي من سوى أهل الكتاب الذين لا يعلمون، { وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية} فيسميهم الذين لا يعلمون لأنهم جهلة أما أهل الكتاب فعندهم أصل علم يرجعون إليه فربما جاء منهم مجادلة ولذا قال الله تعالى: { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} فينبغي للداعية إلى الله أن يعرف ما هو مقبل عليه حتى يعد للأمر عدته.

- ومن ما نستفيده أيضا أنه يجب على الداعية أن يكون على بصيرة وبينة من أمره؛ وهو أيضا مستفاد من قوله **إنك تأتي قوم أهل كتاب** فمن انتدب للدعوة عليه أن يعد العدة مثلا بعض من يناظر الرافضة في غرف البالتوك أو في الفضائيات ربما يأتي بحماس مندفع وهو لا يدرك شبهات القوم فقد يجبهونه بشبهة يعني تطرق سمع لأول مرة فيندهش لها بادئ الأمر وإلا فنحن على يقين بأن ليس عندهم إلا شبهات ليس عندهم حجج إن صح أن نسميها حججا فهي كما قال الشاعر ((حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكلٌ كاسر مكسور)) ليست في شئ لكنهم قد يجيبون بكلام يقرع السمع لأول مرة فيندهش السامع ويظن أن في هذا حجة والأمر ليس كذلك بناء عليه ينبغي للإنسان أن يعد العدة وأن يعرف ماذا يمكن أن يورد عليه مخالفه

- ونستفيد أيضا من حديث معاذ عظم أمر الصلاة؛ فإنه ثنى بها بعد الشهادة فأمر الصلاة عظيم - أيها الأخوان - ولهذا ينبغي التمسيك بها، والحث عليها، وتعظيمها لأن من الناس وللأسف الآن أن بعض المنسوبين إلى العلم والدين بل تجده شغله الشاغل أن يقرر مثلا أن صلاة الجماعة ليست واجبة صلاة المسجد ليست واجبة لا أدري ماذا يستفيد من هذا التقرير! الذي ينبغي لنا أن نعظم أمر الصلاة كما عظمها الله وكما عظمها نبيه ﷺ، وأن نعظم أمر الجماعة كما عظمها الله وعظمها نبيه ﷺ حتى قال الصحابي فما كان يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو إنسان مغلوط في دينه ولقد كان يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين بسبب علته ومرضه حتى يقام في الصف فأين الحكمة والفقه أن يذهب أحد يقرر ضد ذلك؟ هذا في الحقيقة نقص في الفقه فينبغي لنا أن نعظم الصلاة كما كانت تؤدى على عهد رسول الله ﷺ بأوقاتها، وأركانها، وخشوعها، وسائر أحوالها و والله - أيها الإخوان - لو ضبطنا صلواتنا لاستقامت أمورنا الدينية والدنيوية، ولهذا شبه النبي ﷺ الصلاة بنهر بباب أحدنا فقال (أرأيتم لو أن نهر بباب أحدكم ينغمس فيه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى من وبره شئ؟ قالوا: لا، قال: فكذلك الصلوات

الخمس) فنحن لو أتقنا هذه الصلوات لكان بيننا وبين الله عهد وميثاق ولكانت هذه الصلاة طهارة لقلوبنا ومستحما لنفوسنا فيعود الإنسان متجدد ويعود قلبه ثقيلا نحن الذي يقع منا -نسأل الله العفو والمغفرة- أن الإنسان لا يؤدي الصلاة بالصفة التي أمر الله بها من الخشوع والطمأنينة، ولهذا كان أخص أوصاف المؤمنين الخشوع { قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون }

- أيضا نستفيد من هذا عظم أمر الزكاة وأنها قرينة الصلاة لكونها أحد أركان الإسلام وكونها حق الله في المال

- ثم أيضا في الحديث ما يدل على بيان مصرف من مصارف الزكاة الثمانية؛ ما ذلك المصرف؟ الفقراء، وإن شئت فقل الفقراء والمساكين لأن الفقير والمسكين عند الانفراد كل واحد يعم الآخر وعند الاجتماع يستقل كل منهما بمعنى الفقير والمسكين إذ اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا إذا اجتمعا في نص واحد كقول الله تعالى {إنما الصدقات للفقراء والمساكين } فأيهما أشد وأبلغ؟ **الفقير** وهو الذي لا يملك شيء إلى الحول، والمسكين هو الذي يملك إلى نصف الحول هكذا فرق بعض العلماء، وأما عند الإطلاق فالفقير هو المسكين والمسكين هو الفقير طيب إذا من مصارف الزكاة هذا والزكاة لها مصارف لا يجب تخطيها وهي المصارف الثمانية التي ذكرها الله في سورة براءة

- ومنها من فوائد هذا الحديث عدم إخراج الزكاة من البلد إلا لحاجة؛ لقوله تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم

- ومن الفوائد أنه يحرم على السعاة أخذ كرائم الأموال يحرم على السعاة يعني المصدقين الذين يبعثهم الإمام العاملين عليها أن يأخذوا كرائم الأموال يعني نفائسها وإنما يأخذوا من الوسط لا يأخذوا الرديء ولا يأخذوا الكريم بل يأخذوا بين بين اللهم إلا أن يرضى ربها فإن رضي صاحبها فقربة له

- وأيضا نأخذ من الحديث التحذير من الظلم؛ لقوله "و اتقي دعوة المظلوم"

- ونستفيد أيضا أن دعوة المظلوم مستجابة لقوله (فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)

- ونستفيد أيضا - أيها الإخوان - أن أحوج الناس لاتقاء الظلم من كان له يد وسلطة فإنه أحوج من غيره إلى أن يتقي الظلم هذا

و قد بقي في الباب بقية نرجعه - إن شاء الله - إلى الدرس القادم؛؛